

رباعيات مولانا

جلال الدين الرومي

تأويل

محمد عيد إبراهيم



© دار الأحمدي للنشر ، القاهرة

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى ، مايو ١٩٩٨

المنيا - ش طه حسين - تليفون / فاكس ٠٨٦ / ٣٤٧٨٠٢

القاهرة - العجوزة - ش محمد عوف - تليفون ٠٢/٣٠٢٥١٦١

رقم الايداع ٩٨ / ٧٦٢٢ I.S.P.N. 977 - 5887 - 05 - 4

هذه ترجمة لديوان
Quatrains Of Rumi

By

John Moyne

Coleman Barks

Threshold Books , 1989

(عن طبعة دار أمير كبير ، طهران ، ١٩٥٧)

(نَفْسِي ، اَسْمِي - لِقَاءَ الْعَدَمِ)

عاش مولانا جلال الدين الرومي معظم حياته في قونية، تركيا، والتي كانت في القرن الثالث عشر مركز التقاء عديد من الثقافات بالطرف الغربي من طريق تجارة الحرير، المحور الواصل ما بين العوالم المسيحية، الإسلامية، الهندوسية، وحتى البوذية. وقد حاك مولانا جلال الدين عناصر من هذه التقاليد جميعاً في طاقة منفردة، وجامعة، حيث هذه الانفجارات القصيرة ما هي إلا شظايا عفوية.

ولد الشيخ في بلخ، أفغانستان الآن، وطورد مبكراً من قبل الغزو المغولي، إلى قونية (عاصمة السلاجقة بآسيا الصغرى). خلف أباه، فأصبح مركز مجتمع مُتعلّم، ومُدرّساً مثله. قونية، في منتصف القرن الثالث عشر،

كانت بثلاث لغات على الأقل : التركية لغة العوام،
الفارسية لغة الأدب، العربية لغة القرآن والمراسم الدينية.
كان مولانا يكتب، أو يُملي في الأغلب، تغلب عليه
الفارسية.

يبدو أن طريقة الروميّ في التدريس قد مرّت بأطوار
محددة: ما قبل لقائه بشمس تبريز (كتاب "فيه ما فيه" ،
دروس فقهية) ، إلى عفوية الانجذاب الصوفي حتى
مُنتصف عمره (ديوان شمس تبريز، الرباعيات)، وآخرها
القَصَص المركبة والغنائيات والتعاليم (كتاب "المنشوي")
وهو ما شغل السنوات الاثنتي عشرة الأخيرة من عمره]
٦٠٤هـ - ٦٧٢هـ [[١٢٠٧م - ١٢٧٣م] .

كان مولانا بعُمر السابعة والثلاثين عندما صادفه القُطب
شمس تبريز (كان القُطب في حوالي الستين) . حتى ذلك

الحين ، كان الروميّ صوفيّاً تقليديّاً نوعاً ما ، أخذ شمس
كتب مولانا ذات الألمعية الفكرية ، وألقاها في بئر لُبِّيْن له
كم هو في حاجةٍ أن يعيش ما كان يقرؤه.

كانا كلاهما يذهبان في صحبة تطول أسابيع على حوارية
باطنية واندماج تام. غار تلاميذ الشيخ من استغراقه
المنهمك في الرفيق . دفعوا شمساً للرحيل فترة ، إلى دمشق.
لكنه عاد، وأخيراً، على ما يظهر، قتلوه. تتباينُ الخُرافة.
والواضح أن رفقة الشيخ العميقة مع شمس لم تكن تُحتمَل
من قِبَلِهِمْ . كانت الجماعة الدينية تُدركُ خطراً ما في نشوة
الوَصلِ ما بين الحبيب والمحجوب. فكان الفصلُ .

إن بعض الاستثارة في هذه الرباعيات أننا نتسمع
لكليهما، الروميّ وشمسُ، كما لو يزالان في تواطؤ.
وتبدو كهمسٍ عاشقَيْنِ ما بين حَشْدٍ.

قبل وصاله بشمس، وعذاب الاندھال معه، لم يكن
الروميّ شاعراً علي وجه التحقيق. انفجر الشعير في
كينونته احتفالاً بقاء القطب ، وكان الأسى والتوق في
انتظار رجعة الرفيق. الشعير، كذلك، يُمكن رؤيته
كسجلٍ فريدٍ لاتحاد الحبيب والمحبوب، الروح والملمهم.
تأكيداً، لم يكن ذلك مُخطّطاً، أو كاملاً، أو مفهوماً.
يُصيح إلى جلال جَمَل على البعد. عندما يستدعيه،
الوجود القريب ، فإن أول كلمة تُقال تتزامن بالضبط مع
آخر كلمة في آخر قصيدة.

بالنسبة للروميّ، فإن الشعر هو ما يؤديه في غضون
ذلك، رقصٌ ونشيد، حتى وصول الوجود الأسنى الذي
يعشقه: انسيالٌ دمع، هبةٌ من العين، كي يتملّى خلالها
انحلال المشهد.

معظم هذه الرباعيات (والتي تُترجمُ للمرة الأولى في العربية) تضعك في فضاء شاسع حيث تظن أن " وَقَفْتُكَ " هناك ، كمثلي أسيّ ، تقلبك بمنظور نسبيّ ، نحو صفاء ولغز مفاجئين. وهي تتطلبُ قدرًا كبيراً من الخلاء، فراغاً كي تجولَ، سماءً، فضاءً باطنياً من الأناة والوجد. أبواب دقيقة تُحيلك نحو إقليم شاسع تنفتح عليه:

" كُنْتُ أَحْيَا عَلَى حَرْفِ الْخَبَلِ ،

أَهْوَى لَوْ أَدْرِي الْأَسْبَابَ ،

أَطْرُقُ عَلَى بَابٍ . فَيُفْتَحُ .

صِرْتُ أَدْقَّ عَلَيْهِ مِنْ بَاطِنِهِ ! "

تضم رباعيات مولانا ١٦٥٩ رباعية، عدد أبياتها (٣٣١٨) . وقد تُرجمت عن كتاب (رباعيات الرومي) : جون موين وكولمان باركس، ١٩٨٩، ثريش اولد ،

الولايات المتحدة. ويحتوي الكتاب على مختارات من هذه
الرباعيات، نترجمها* هنا ، إهداءً ، كأنه قَبَسٌ، إلى روح
مولانا، لَعَلِّي أقترِب، فأُنْجُو من لومكم .

محمد عيد إبراهيم

* آثرنا أن نطلق على هذه الترجمة مسمًى " تأويل " ، نظراً لما يحويه النص
(المترجم) هنا من اشارات عرفانية صوفية لم تكن واضحة في الأصل
الإنجليزي ، ولأن الترجمة نعتبرها (بين كثير ، من المفترض) التي تخص هذا
المترجم (دون غيره) ، ويعود ذلك لمصائص من ثقافته وأسلوبه .

ذلك الذي يغمرُ حرمي السريِّ
الذي ابتنيتهُ ، من يحرمُني النومَ ،
مَنْ يسحبُني ويلقيني أرضاً ،
طيفه هو النشوة التي أنطق بها.



القلبُ سالك . المعرفةُ تلين :
الجسمُ ليسَ مُنفرداً كجيفة ،
لكنه غريبٌ كحبة ملح
لا تزالُ على طرفِ الجبلِ .

النور الذي تُطْلِعُهُ لم يَأْتِ من مِضْنَةِ .
لم تَنْشَأْ قَسَمَاتُكَ من مَنِيٍّ .
لا تُحَاوِلِ الاختباءَ بِدَاخِلِ غَضَبِ
الْجَلَاءِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُخْتَبِئَ .



طَوَالَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ ، لَحْنٌ ،
نَيْرٌ ، هَادئٌ
غِنَاءٌ مِزْمَارٍ .
لَوْ نَحَبَا ، نَذْوِي .

النومُ هذا العامُ ليسَ لهُ سُلطان
ربّما الليلُ أيضاً يكفُّ عن البحثِ عَنّا
حينَ نكونُ على مِثْلِ هذا ،
مَحجوبينَ ، ما عدا في الفجرِ .



يمتدُّ هذا الليلُ حتى الأبد ،
وكأنهُ نارٌ في باطنِ الرفيقِ تَتَّقِد .
أعرفُ صادقاً أن هذا هو الهَناءُ .
غافلاً أنه الأسي ، وافتقارُ الجراءة .

مَنَاحِلُ هِيَ الْأَيَّامُ كِي تُصَفِّيَ الرُّوحَ ،
تَكْشِفَ النَّجَسَ ، وَكَذَا
تُبَيِّنُ النُّورَ لثُلَّةٍ يَرْمُونَ
بِهَاءَهُمْ إِلَى الْكَوْنِ .



خَرَجَ جَوَادٌ مِنْ مَكَانٍ غَيْرٍ مَعْرُوفٍ
حَمَلْنَا حَيْثُ ذُقْنَا هُنَا الْعِشْقَ
وَحَتَّى لَمْ نَعُدْ نَحْيَا كَذَلِكَ . هَذَا الطَّعْمُ ،
خَمْرٌ ، نَسْتَقِيهِ عَلَى الدَّوَامِ .

باكرًا ، كي أستَعِدَّ ،
حَلَلْتُ أَرْبَطَةَ السَّاقِ .
اليومَ ، طَيُّبْتُكَ . عِرْفَانُ
على الرِّيحِ يَنْبُتُ .



هذه الهِباتُ من الرفيقِ ، كِسَاءُ
من الجِلْدِ و العُرُوقِ ، مُعَلِّمٌ باطِنِي ،
أرتديها فأصبحَ طَريقَةً
والشيخُ القُطْبُ مُجَاوِرُ .

لا رفيقٌ سِوى العِشقِ .
طريقٌ ، دونَ بدءٍ أو نِهايةٍ .
يدعو الرقيقُ هناكُ :
ما الذي يُمهلكَ حينَ تكونُ الحياةُ مَحفوظةً بالمخاطرِ !



ادّعيتُ أنّي أثب
لأرى ما لو أمكنَ أن أحيا هُناكَ .
ذات يومٍ عليَّ حقاً الوصولُ هُناكَ ،
وإلا فإن العَدَمَ سيخلفُ حتى أصل .

ها هُنا رَجُلٌ مَهيبٌ
يَعْرِضُ كاساً من الخَمْرِ ، إن
تَجَلَّى القوَّةُ
فوقي ، كما آمُلُ ، ليس لي !



دع العاشِقَ حَزِيانَ ، أبلَّةَ ،
ذاهلاً . العاقلُ
سوفَ يَلَيِّ الحوادثَ وهي تمضي لأسوأ
فدع العاشِقَ في كونه .

سلوكُ نبيٍّ ومَظهرُهُ ،
أرومتُنا الباطنية ، هذه الخِصالُ
لامرأةٍ لم تزل تحيا بنا ،
رغمَ أنها تختبي مما نصيرُ عليه .



لو أن روحاً لديك ، احتسبها ،
أرّخ لها أن تعودَ بكلمةٍ واحدة ،
من حيثُ جئنا . الآن ، آلافٌ من الكَلِماتِ ،
ونأبى أن ننصرف .

لو رَغِبْتَ الحَيَاةَ ، اهْجُرْ ضِيفَاكَ ،
كَمَثَلِ جَدُولٍ وَضِيعٍ يُبَاشِرُ نَهْرَ "أَمَادَارِيو" ، بَعْرَضِ فِرَاسِيخَ ،
أَوْ كَأَنْعَامٍ تُزَحْزَحُ حَوْلَ الرِّحَى
لِتَطَوَّقَ عَلَيَا الدُّنَى حِينَ غِرَّةٍ .



هل الحَيَاةُ لَتَفْنِي ؟ يَهَبُ اللهُ أُخْرَى .
مَجْدُ الْمُطْلَقِ . وَسَلَامُ بِالْمُقَيَّدِ .
العِشْقُ نَبْعٌ . فَانْعَمِرْ .
كُلُّ قَطْرَةٍ تَنْفَصِيلٌ ، عُمْرٌ مُسْتَجَدٌّ .

حَسِبْتُ أَنِّي حَكَمْتُ نَفْسِي ،
فَتَأَسَّيْتُ عَلَى زَمَانٍ قَدْ مَضَى .
أَخْذًا فِي اعْتِبَارِي ، شَيْئًا وَحِيدًا أَعْلَمُهُ
لَسْتُ أَدْرِي مَنْ أَنَا .



هَذَا فُتَاتُ الْقَوَاتِ لَا يُؤْكَلُ ،
وَلَا كِسْرَةُ الْحِكْمَةِ هَذِهِ تُكْتَشَفُ بِالنَّظَرِ .
ثَمَّةُ لُبِّ اللَّبِّ فِي كُلِّ أَمْرٍ
حَتَّى أَنْ جِبْرِيلَ لَا يَعْرِفُ بِالسَّعْيِ لِلْمَعْرِفَةِ .

قراءةُ الأسفارِ تروقُ لكِ آخرَ العمرِ .
لا تحزنِ لو رأيتِ الصغارَ يستبقونك .
ولا تعجلِ . هل أنتِ في رَهَقٍ تتجهَّزُ للنزوحِ ؟
حلَّ يديكِ للأحزانِ .



تتَلَكَّأُ بعضُ الليالي حتى الشفقُ ،
كما يُوذِنُ القمرُ للشمسِ أحياناً .
فكنْ مثلَ قادوسٍ مُترَعٍ جرَّ دروبَ الظلامِ
من بئرهِ ، ثمَّ يُصعِدُها إلى النورِ .

أُمَحُّ اللَّيْلَةِ مَا هُوَ بَاقٍ .
رَقَدْنَا فِي لَيْلَةٍ سَالِفَةٍ نُصِيخُ إِلَى قِصَّتِكَ الْوَحِيدَةِ ،
أَنْ كُنْتَ عَاشِقًا . نَرَقُدُ مِنْ حَوْلِكَ ،
مَصْعُوقِينَ كَأَنَّا الْمَوْتَى .



لَا كَاسَاتُ خَمْرٍ هُنَا ، لَكِنْ خَمْرٌ تَدُورُ .
لَا دُخَانٌ ، بَلْ لَهَبٌ .
اسْمَعُوا الْأَصْوَاتَ خَافِقَةً ،
بِمَا تَنْخُرُ بِهِ الْأَنْغَامُ .

لا تُرْوَمُ المَدَامَ كِي تَسْكُرَ ،
لا الآلاتِ وَقَصَفَ الغناءِ حتى ننتهي بمحاذيبَ .
لا مُنْشِدِينَ ، لا مُرْشِدِينَ ، لا شِدْوَ ،
بل تَثْبِ حولَ بَعْضِ جَاحِمِينَ تَمَامَ الجُمُوحِ .



لا حُبَّ أَفْضَلَ مِنْ حُبِّ بَدُونِ حَبِيبَ ،
ليسَ أَصْلَحَ مِنْ عَمَلِ صَالِحِ دُونَ غَايَةِ .
لو يُمَكِّنُكَ أَنْ تَتَخَلَّى عَنِ السُّوءِ وَالْحِذْقِ فِيهِ ،
فَتَلِكَ هِيَ الخُدْعَةُ المَاكِرَةُ !

يُمْكِنُ لِي أَنْ أَنْقَسِمَ عَنْ أَيِّ وَاحِدٍ ،
عَدَا مَنْ يَحْتَوِينِي ضِمْنَهُ .
أَيِّ وَاحِدٍ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَهْبِ الْعَطَايَا .
نُحْصِّ لِي أَحَدًا مَانَعًا .



رَمَزُ أَجْناسِنَا فُلُكُ نَوْحٍ ،
سَفِينَةٌ تَسْتَوِي عَلَى الْجُودِيِّ .
نَبْتَةٌ تَطْفُرُ عَمِيقًا بِمَرْكَزِ تِلْكَ الْمِيَاهِ .
لَيْسَ لَهَا مِنْ مَوْقِعٍ أَوْ نَمَاطٍ .

ما لهذا النهارِ بِشَمْسَيْنِ في السماء ؟
ليسَ كَمِثْلِهِ هَارٌ ،
صوتٌ مَهِيْبٌ يُزَفُّ إلى الكوكَبِ :
هَارُكُمْ ، الآنَ ، كينوناتٌ مفتونة !



كاسُ المدامةِ في يدي ، أرتمي ،
أشِبُّ على قَدَمَيَّ مشدوهاً من جديدٍ ، وخبِلانَ ،
ثم أحمُدُ في تداعٍ ، ليسَ بعدُ بهذه المنزلة ،
بل هنا ، لا أزالُ ، أقِفْ ، القويُّ الرصين .

يأتي الرفيقُ مُصَفَّقاً ، وهو في آنٍ
جَلِيٍّ وَقَاتِمٌ ، دونَ غَايَاتٍ بلا خِشْيَةٍ .
أنا أشبه أنا
واحِدُنَا يُشْبِهُ الآخر .



الرفيقُ يهْلُ على جسدي
باحثاً عن مركزه ، حينَ يعجزُ
أن يَجِدَهُ ، يَسْتَلُ نُصْلًا
نافِذًا في أي مَوْقع .

ما لهذا الليل دون تخومٍ يمكنه أن يهبها .
ليس ليلاً بل زفافاً ،
زوجان في مَنَدَحٍ يَخْفَتَانِ على انسِجامٍ بالكلماتِ ذاتِها .
تُدَلِّي العتمةُ سِتْراً واضحاً نحو ذلك .



هذا الليلُ ماهيةُ الليلِ ،
طالبٌ والطلبُ يعوزُ
سماحةً وعَطِيَّةً ، تلا شيء
جِيئةً وذُهوياً : مع الله !

ليلٌ مُفَعَّمٌ بكلامٍ مُوجِعٍ ،
أَشْرُ كَوَامِينِي عَائِقٌ : كلُّ شيءٍ
عليك أن تتركه بعِشْقٍ أو بدون .
هذا الليل يَفْنَى ، ومن ثَمَّ ما نرتكب بعده .



أطوفُ إلى مرقدك الليلة ،
أدورُ أدورُ وحتى الصباح
نسيمٌ من هواءِ ييُوحُ ، الآنَ ،
ويعرِضُ رفيقي على مثلِ طاسٍ جُمُجُمَةٍ لغيرِ مُسَمَّى .

مُمتلئٌ بك ،
جلداً ، دماً ، وعظاماً ، وعقلاً وروحاً .
لا مكانَ لنقصِ رجاءٍ ، أو للرجاءِ .
ليس بهذا الوجود إلاك .



لا تغفل عن العزق ، وبالهيكَلِ اعتزّ ،
فالجسمُ له دروبٌ باطنية ، الحواسُ الخمس .
تنصدع ، والرفيقُ منكشِفٌ .
افلقِ الرفيقَ ، تحلّ به كُلاً - أحد .

واصلِ التجوالِ رغمَ أنه لا مكانَ لكِ تصيل .
لا تُجربِ أن ترومَ مرامي الأبعاد .
ليسَ هذا لآدمي . فارحلُ إلى باطنك ،
ولا تَميلِ لطريقِ الخوفِ يُجريكِ تمضي عليه .



إذرعِ إلى البئرِ .
تقلّبِ كأرضٍ سَيّارةٍ أو قمر ،
مدارُهما كما يهويّان .
أيما جَوّبانٍ نابغٍ عن محوَرٍ .

تَبَسُّمُ الْوَرْدَةِ مِنْ طَوْلِ تَحْدِيقِي ،
انْشِدَاهِي دَوَاماً لِمَا تَعْنِيهِ وَرْدَةٌ ،
وَمَنْ يَمْلِكُ الْوَرْدَةَ ،
أَيّاً مِثْلُ ذَلِكَ يُضْمِرُ .



يَدَانِ ، عَيْنَانِ ، قَدَمَانِ ، لَا بَدَّ أَنْ ذَلِكَ خَيْرٌ ،
بَلْ إِنَّهُ لَا شِقَاقَ مَا بَيْنَ الرَّفِيقِ وَعِشْقِكَ .
أَيَّ انْشِعَابٍ هُنَاكَ يَسِّنُّ فُرُوقاً لَا تَفِي
كَـ "يَهُودِيٌّ" ، "مَسِيحِيٌّ" ، وَ "مُسْلِمٌ" .

أراك تُبرئني .
لا أراك ، أحسّ بالجدرانِ مُنطَبِقة .
فلا أبتغي للسوى
غَيَّةً مثلَ هذي .



ما الذي يجعلك حيّاً بدوني ؟
كيف يُمكنك الشكاية ؟
كيف أنك تدري بذاتك ؟
كيف تُبصر ؟

ضالٌ عندَ مَنْ لا يرومُ العِنايةَ ،
جَسَسْتُ الأَلَمَ ، رَغَمَ أَنَّهُ مُحْتَفَى بِهِ
من قِبَلِ الآخرِ طالِبِي بَكْلِيَّتِي . ولو أَنِي
الآنَ ، كباطلٍ أَمَسَكْتُهُ ، فالطَّلَبُ عزيز .



يَخْتَبِي عِشْقِي على الدربِ حيثُ يسيرُ لصُّ العِشْقِ
فَيَقْبِضُ عليه بِأَسْنَانِي من الشَّعْرِ
مَنْ أَنْتَ ؟ لصُّ العِشْقِ يَسْتَخْبِرُ ؛ بَيْنَا كُنْتُ
أَفْتَحُ فَمِي لأَبْوَحَ ، تَفَلَّتْ إلى البَادِيَةِ .

أَنْعَمْتُ فِكْرِي فِيكَ ثُمَّ رَمَيْتُ
بِكَاسِ الْمُدَامِ تَجَاهَ الْجِدَارِ .
الآنَ مَا أَنَا سَكْرَانُ أَوْ فِي إِفَاقَةٍ ،
أُثْبِتُ لِأَعْلَى وَأَدْنَى ، فَكُلِّي مُنْجَبِلَ .



عَيُونُنَا مَا تَرَاكَ ،
لَكِنَّ عُدْرَانَنَا : فَالْعَيُونُ تَرَى مَظْهَرًا ،
لَا حَقِيقَةً ، وَلَوْ أَنَّ لَطِيفَةَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ
تُرَجَّى دَوَامًا .

بعد أن تُمضي معي ليلاً بطوله ،
تسألني كيف أحيأ هنا من دون أن تُوجد .
خزيان ، كأن سمكةً مسعورةً تتنفسُ
رملاً ظامئاً . باحَ البكاءُ عليك : لكنك اخترتَ .



إن تُلَمَّأ هناك ما بينَ صوتٍ والوجود ،
طريقاً حيثُ تدفُقُ الأنباء .
يَنفَتَحُ الثَلَمُ في سَكِينَةٍ مُنضَبِطَةٍ .
بكلامٍ طائفٍ ، ينطبقُ .

يَخْتَمِرُ النَّهَارُ . الْعَيُونُ تَخْضَلُ بِغَمَامٍ .
الشَّجَرُ يُرْجِفُهُ رِيحٌ فَيَضْحَكُ ، كَأَن جَلْبَةً أَطْفَالٍ لَعُوبًا
تَقَعُ ، بِسَبَبٍ مِنْ أُمَهَاتٍ تَذْمَرْنَ
وَأَبَاءٍ يَسْطُونُ يَدًا لِلتَّلْمُوسِ .



لَقَدْ بُحْتُ بِكَيْنُونَتِكَ . أَنَا هُوَ أَنَا .
أَفْعَالُكَ فِي رَأْسِي ، رَأْسِي هُنَا فِي يَدَيَّ
بَشْيءٍ يَدُورُ لِلْبَاطِنِ . دُونَ نَعْتِ أَنَا
فَلِمَاذَا الطَّوَافُ بِشَكْلِ الْكَمَالِ .

لِمَ كُلُّ هَذَا الْأَسَى وَالشُّحُوبِ ؟
لَا تَنْظُرُ عَلَيَّ .
كَمِثْلِ وَجْهِ عَاكِسٍ نَوْرَ آخَرَ ،
الْقَمَرُ بَعْدَ الْأَلَمِ .



أَيْنَهُ مَنْ يِرَاكَ وَلَا يَضْحَكَ بِصَخَبٍ ،
أَوْ يَرْتَمِي سَاكِنًا ، أَوْ يَنْفَجِرُ كَالْحَطِيمِ ،
فَهُوَ الْعَدَمُ لَيْسَ أَكْثَرَ مِنْ مِلَاطٍ
وَحَجَرٍ ، فِي مَسْجِنِهِ .

ادرُج على الأرضِ عاريَ القدمينِ وأذهِلها بالدُّوارِ ،
فهي حُبلى بالمرَح والبراعِم .
ربيعٌ مُصطَخِبٌ يرتقي نحو النجوم .
والقمر ينشدِه ممّا يدور .



كلُّها لك ، سماءُ الليلِ أعلى القمرِ ،
فامتَحِنِ السَّيرَ على أرضٍ رطِية .
المنشيدون مُهيِّمونَ في أقدسِ الحاناتِ ،
السَّهَرُ حتى الشَّفَقِ . وجَرَّبَ ألا تنام .

مُنْعَطَفٌ بَاطِنِيٌّ بِنَا
يَجْعَلُ الْكَوْنَ يَذُوحُ .
رَأْسُهُ غَيْرُ مُدْرِكَةٍ لِلْقَدَمِ ، وَلَا الْقَدَمُ لِلرَّأْسِ .
لَا أَحَدٌ مُبَالٍ . كُلُّهُ إِلَى الدَّوْرَانِ .



هَذَا الْعَزْمُ يَأْتِي الْحُبَّ كَيْ يَرْتَاخَ فِي ،
كَائِنَاتٍ عِدَّةٌ فِي كَائِنٍ مُتَوَحِّدٍ .
بِحَبَّةِ قَمْحٍ وَاحِدَةٍ أَلْفُ حُرْمَةٍ أَكْدَاسًا .
فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ، لَيْلٌ دَوَّارٌ بِالنُّجُومِ .

بسالة : ريم في موازاة كومة أسود .
بنيان صمد فوق صخر أديم ، ويصمد ،
هل تظن بجبي سوف يتقوض
إلى الأرض ، عندما تتحلى ؟



من حديد ، أنا من دون ذاتي .
نحوت ، لكني هنا قد رجعت على بحر ، القدمان في الريح
رأساً على عقب ، كولي حين يفتح عينيه بعد الصلاة :
الخلوة ، السباط ، وجوه رفيقة .

أَصْبَحْ ، لو تَمَكَّنَ مِنْكَ الْوَفَاءُ .
الْوَحْدَانِيَّةُ مَعَ الرَّفِيقِ تَعْنِي أَنَّهُ لَا تَكُونُ بِمَنْ تَكُونُ ،
تَكُونُ مَحَلَّ السَّكِينَةِ : مَنَزِلَةً : رُؤْيَا
وَاللُّغَةُ حَشَاهَا الشُّهُودُ .



لَا تُسَدِّ لُصْحًا كَرِيمًا إِلَيَّ .
لَقَدْ ذُقْتُ مِنْ شَرِّ الْحَادِثَاتِ .
وَاحْتَجَزْتَنِي فِي مَكَانٍ غَيْرِ مَعْرُوفٍ ، مُصَفِّدًا مَكْمُومًا ،
لَيْسَ لَهَا أَنْ تَعْقِلَ مَا حُزْتُ مِنْ عِشْقٍ جَدِيدٍ .

في مَسْلَخِ العِشْقِ ، يَقْتُلُونَ الأَفْضَلَ فَحَسَبُ ،
لا الوَاهِن ولا الشَّائِن .
فلا تُؤَلِّي الأَدْبَارَ مِنْ مِيتَةٍ هَكَذَا .
مَنْ لَمْ يَمُتْ بِالعِشْقِ فَهُوَ جِيفَةٌ .



لَيْسَتْ الكَيْنُونَةُ فِيمَا تَبْدُو عَلَيْهِ ،
وَلَا عَدَمُ الكَيْنُونَةِ .
وَجُودُ العَالَمِ
مَا يَكُونُ فِي العَالَمِ .

عندما يَنْبَسِطُ عِشْقُكَ إِلَى اللَّبِّ ،
عَرَامَةُ الْأَرْضِ وَغَارَاتُ تَنْسَرُ عَلَى الْهَوَاءِ .
يَصِيرُ الْكَوْنُ رُوحِيًّا ، وَاحِدًا وَبَسِيطًا ،
العِشْقُ زَاغُ الرُّوحِ .



من رأى مرّةً مثلَ هذِي النُّدَامَى ؟
دِنَانٌ تَنْحَطِّمُ ، فَالْأَرْضُ مُنْتَقِعَةٌ
وَكَذَا السَّقِيفَةُ قَدْ رُصِّعَتْ بِالنَّجُومِ .
فَتَعَجَّبِ ، الْكَاسُ مُتَرَعَّةٌ فِي يَمِينِي .

لا عاقلٌ مُنكِرٌ لوجودِكَ ،
لكنَّ أيَّ امرئٍ لا يُسلِّمُ بذلكَ في التو .
ليسَ مكاناً مالا تكونُ بهِ ،
ولا حتى مكاناً عندما يشهدونكَ .



ذاتَ يومٍ تُخلِّيني من ذاتي كُلِّيَّةً ،
فأستطيعُ مالا تُستطيعُهُ الملائكة .
إن هُديكَ سوفَ ينظِّمُ فوقَ حَدِّي
القصيدَ التي ليست بمقدورِ أحدٍ .

في داخلِ الماء ، ساقيةٌ تدورُ .
نَجْمٌ يلفُ مع القمر .
على بحرٍ هذا الليل نَحيا ذاهلين ،
ما هذه الأنوار؟



على تبع الندى، أَحَدٌ يُشَدِّبُ في قَصَبَةٍ ،
لتبدوَ نايًا . تَرشُفُ القَصَبَةُ الروحَ كالراح ،
تَرشُفُ أَكثَرَ ، كي تَمَرَّسَ . الآنَ ، سَكْرَى ،
فَتَشْرَعُ في أنغامٍ عُلوِيَّةٍ رائقة .

في البدء غَنَّيْتُ ثُمَّ تَلَوْتُ القصيدة ،
فَأَسْهَرْتُ الْمَجَاوِرِينَ .
الآن عاطفةٍ أَشَدُّ ، وأكثر طُمأنينةً .
عندما النارُ تَصْطَلِّي ، يتلاشى الدُّخان .



حينَ تُقَيِّدُ ، أَنْعَتِقُ .
لو تُوبِّخُ ، أَحْتَفِي .
نَصْلُكَ الْمَشْقُوقُ عِشْقُ .
أَنِئُكَ أَغْنِيهِ .

أَنْصِتْ إِلَى الْأَطْيَافِ دَاخِلَ الْقَصَائِدِ .
دَعَهَا لِتَأْخُذَكَ حَيْثُ تُرِيدُ .
اتَّبِعْ تِلْكَ الْإِشَارَاتِ الْبَاطِنِيَّةَ ،
وَلَا تُخْلِفْ مُقَدِّمَةً مَنْطِيقِيَّةً .



يَخْشَى السُّكَارَى الْعَسَسَ ،
لَكِنَّ الْعَسَسَ سَكَارَى بِأَكْثَرٍ مِمَّا يَنْبَغِي .
أُنَاسُ هَذِهِ الْبَلَدَةِ مَشْغُوفُونَ بِهِمْ
وَكَاثِمٌ أَحْجَارُ شِطْرَنْجٍ مُمَيِّزَةٌ .

يَرْجِعُ اللَّيْلُ حَيْثُ أَتَى .
كُلَّهُمْ عَائِدٌ أَحْيَانًا .
يا لَيْلُ ، عِنْدَ وَصُولِكَ ،
إِحْكِ لَهُمْ كَمِ أَحْبُكَ .



يَغْدُو اللَّيْلُ فَيَنْعَسُ النَّاسُ مِثْلَ السَّمَكِ
فِي مِيَاهِ سُودٍ . بَعْدَهُ نَهَارٌ .
بَعْضُ النَّاسِ تَلْقُطُ آلاَتِهَا .
يُصْبِحُ الْآخَرُونَ الصَّنِيعَ ذَاتَهُ .

في داخلنا يَصْدَحُ صوتٌ
بأبيات من "خيسرو" ، بمَقْطَعٍ من "شِيرين" .
صوتٌ هادئٌ يَسْتَثِيرُنَا .
وأحياناً كلماتٌ مثيرةٌ تَجْعَلُنَا هادئين .



تنشُرُ رِيحُ الصُّبْحِ فَوْحَهَا التَّضْيِيرُ .
لا بدَّ ننهَضُ كي ننشُقَه ،
تلكَ الرِّيحُ تَجْعَلُنَا نعيش .
فَتَنَسِّمُ ، قبلَ أن تنقْضي .

جسمي صغيرٌ حتى أن تراهُ بجَهْدٍ .
كيفَ يُمكنُ لهذا الحبِّ الكبيرِ أن يُوجدَ بي ؟
انظر إلى عينيكَ . صغيرتانِ ،
ويمكنُهما أن يُبصرا أشياءَ هائلةً ،



أينَ هي القَدَمُ الجديرةُ بالتَّنَزُّهُ في حديقة ،
أو العينُ التي تستَحِقُّ التَّطَلُّعَ في الشَّجَرِ ؟
أرِني رَجُلًا عازماً
أن يَنقَظِفَ في النار .

تتكلم فأبدأ الضحك .
جيف تستعيد الحياة .
إني أحاول أن أتحدث اليوم من دون تأتأة ،
رغم أني في الخسران وأهرف .



لا أحد قانط منك .
ينشر النور من يتلق نوراً .
ليس للأسرار أن تُذاع
ممن يؤتمن .

مَنْ قَائِلٌ إِنْ كَيْنُونَةُ السَّرْمَدِيِّ لَا تُوجَدُ ؟
مَنْ قَائِلٌ إِنْ شَمْسًا قَدْ انْطَفَأَتْ ؟
ذَلِكَ يَصْعَدُ إِلَى السَّطْحِ ، فَيُحَكِّمُ غَلْقَ عَيْنَيْهِ ،
ثُمَّ يَقُولُ : لَسْتُ أَرَى .



حِينَ تُحِسُّ فَاهَكَ مُطْلَقًا ، وَرُخَيْمًا ،
وَيَ كَأَنَّهُ قَمَرٌ فِي السَّمَاءِ ،
حِينَ تُحِسُّ بِتِلْكَ الرِّحَابَةِ مِنْ بَاطِنِكَ ،
سَوْفَ تَجِدُ " شَمْسَ تَبْرِيزٍ " كَذَلِكَ .

ياقوتة بمذاق لذيذ ،
مُشربةً نورَ خَمرة . يُمكنني أن أبوح
باسم هذه الكرمة ، لكن لِمَ ؟
فأنا خادِمٌ حافظُ الأسرار .



موثّقين بحزم ، سِلْسِلَة أُخرى طَوَّقَتنا .
قد خَسِرنا ، لكنَّ كارثةً هنا .
قَيَّدَتنا في جدائلٍ شَعْرِكَ ، نَشْعُرُ
بِحَبْلِ حَوْلِ رَقَبَتنا .

مَنْ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَا يُرَى تَقْرِيبًا
مَنْ قَبْلَ الَّذِينَ بَدُون . رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ
يَتَعَرَّفُ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يَبْدَأُ رِحْلَتَهُ . السَّوَى
يَتَقَوَّلُونَ بَأَنَّهُ ، أَوْ أَهْمَا ، خَاسِرٌ لَوْلَائِهِ .



أَرْغَبُ فِي مُنْشِدٍ لَا يُغَادِرُ رَفِيقَهُ .
لَوْ أَنَّهُ يَتِمَكَّنُ ، ثُمَّ يَظَلُّ عَلَى دَوَامِ الْعِشْقِ ،
صَارَ الْغَالِبَ ، أَوْ لَا يَكُونُ .
فَهَبْنَا مُنْشِدِينَ عَلَى مِثْلِ هَذَا .

الشمسُ حُبٌّ ، والحبيبُ ،
ذرةٌ من غُبارٍ تدورُ حولَ الشمسِ .
ريحُ الربيعِ هَفْهافةٌ كي تُرَّحَّ
أيَّ غُصنٍ غيرِ ذاوٍ .



لا تَدْعَ حَلَقَكَ يَضِيقُ
بِمَخَافَةِ اللَّهِ . تَرَشَّفْ أَنْفَاساً
طَوَالَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ . قَبْلَ الْمَوْتِ
أَغْلِقْ فَمَكَ .

لو تَخَلَّيْتُ عَنْ عَقْلٍ ،
لَأَمْكُنِي تَسْطِيرُ مِائَةِ رَوَايَةٍ لَكَ .
لَيْسَ مِنْ سَائِلٍ مِثْلَ دَمْعَةٍ
هَمَّتْ مِنْ مُقْلَةٍ لِحَبِيبٍ .



أَجَلٌ مَنْ يُحَاوِلُونَ
الْخَلَاصَ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ أَيِّمَا رُقُودٍ ،
يُخْلُونَ فِي الذَّاتِ
جَاعِلِينَ هُنَاكَ كَيُنُونَ الصِّفَاءِ فَحَسْبُ .

يَعْلَمُ اللَّهُ، وَلَيْسَ أَنَا ،
مِمَّ أَضْحَكَ .
سُؤْيَقَةُ الزَّهْرَةِ
تَنْدَفِعُ عِنْدَمَا الْهَوَاءُ يَنْدَفِعُ .



تَوَصَّلْتُ إِلَى قِطْعَةٍ مِنْ خَشَبٍ . فَاسْتَحَالَتْ إِلَى عُودٍ .
ارْتَكَبْتُ دَنَاءَةً . فَانْتَهَتْ إِلَى مَا يُفِيدُ . أَقُولُ
لَيْسَ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَتَرَحَّلَ نَحْلَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ .
ثُمَّ أُولَى وَجْهِي ، فَتَحَصَّلَ أَشْيَاءُ فَرِيدَةٌ .

ما من سمكٍ كثيرٍ في غديرٍ رثيقٍ ،
ليس من ماءٍ عميمٍ كي يعيشَ به سمكٌ .
انمحاءُ المكانِ ضئيلٌ على العشاقِ ،
ليس للعشاقِ أن يروا الكثيرَ هذه الدنيا



بذرةُ المجدوبِ في أي مكانٍ على الأرضِ مَطْمُورَةٌ
تفيءُ هذا الحصادِ الذي غرَسناه .
لحنُ قَصَبَةٍ نايٍ نسمعه بكلِّ ناحيةٍ
سارياً في الريحِ كمِثْلِ بُرْهانٍ على ما عَشِقْنَاهُ

أقولُ ، هايتها الصَّهْبَاءُ صِرْفاً لتجعلني كالخليعِ الهَتِيكِ .
تقولُ ، عاصفةٌ هناكَ تحينُ !
وأنا أقولُ ، دعنا إذنَ نَحْتَسِي ،
ثمَ نَجْلِسُ ها هنا مثلَ أزلامٍ تُراقِبُ .



إقْتِيدَ كُلِّ الْمُرْسَلِينَ
لكي يَلْبَثُوا في رِفْقَةِ الْعُشَّاقِ .
نستدفعُ من النارِ ، لكنها النارُ
تَنْقُضُنِي في طُيُوفِ الرَّمَادِ .

غَرَسْتُ وَرْدًا ، لَكِنَّهُ مِنْ دُونِكَ اسْتَحَالَ شَوْكًا .
رَقَدْتُ بَيْضًا لَطَاوُوسٍ . فَحَوَى ثَعَابِينَ .
عَزَفْتُ عَلَى قِيثَارَةٍ ، فَسَدَّتِ الْأَلْحَانُ .
ارْتَقَيْتُ إِلَى السَّمَاءِ الثَّامِنَةِ . فَكَانَتْ سُفْلِي جَهَنَّمَ .



أَقُولُ مَا فِي خَاطِرِي لَا بَدَّ أَنْ أَفْعَلَهُ . تَقُولُ مُتٌ .
أَقُولُ إِنَّ زَيْتَ قِنْدِيلِي قَدْ صَارَ مَاءً . تَقُولُ مُتٌ .
أَقُولُ إِنِّي كَفَرَاشَةٌ أَحْتَرَقُ
إِلَى شَمْعَةٍ وَجْهِكَ . فَتَقُولُ مُتٌ .

عَيْنَانِ . تَقُولُ عَرَّضْتُهُمَا لِلنَّظَرِ .
كَبِدٌ . تَقُولُ أَدِرُّهُ فِي عَمَلٍ .
أَنُوهَ بَلْبَ الْقَلْبِ . تَسْتَخِيرُ مَاذَا هُنَاكَ ؟
حُبٌّ مَصُونٌ إِلَيْكَ . - خَلَّوْا لَكَ .



تُجَرِّبُ الْأَسْرَارُ أَنْ تَطْرُقَ آذَانَنَا . لَا تَحُلْ دُونَهَا .
لَا تُنَجِّبِ وَجْهَكَ . لَا تَدْعُنَا
دُونَ أَنْغَامٍ أَوْ مُدَامٍ . لَا تَدْعُنَا
نَسْتَرُوحُ نَفْسًا وَلَوْ مَرَّةً دُونَ أَنْ نَكُونَ حَيْثُ تَكُونُ .

تَحِيرُنَا كَمَا هِيَ عَادَةُ الْعُشَّاقِ .
تَجُولُ عَوْدَةً وَخُرُوجاً مَا بَيْنَ الْارْتِبَاكَاتِ ،
فِي غَيْرِ كُفْلَةٍ ، لَكِنْ أَيَّ امْرِيٍّ يَتَلَمَّسُ أَنْ يَتَبَعَكَ
سَيَكُونُ حَيْرَانًا .



كُلَّ يَوْمٍ ، هَذَا الْأَلَمُ . إِمَّا أَنْتَ مُسْتَغْنٍ
أَوْ أَنْكَ لَا تَدْرِي الْحُبَّ .
أَدَوْنِ حِكَايَةِ حُبِّي .
تَشْهَدُ الْمَكْتُوبَ ، لَكِنَّكَ لَا تَقْرُؤُهُ .

طُلُوعُ الشَّمْسِ يَهْبُ شَمِيمَ خَمْرِ صَافٍ .
لَيْسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَنْ تَكُونَ غَيْرَ ثَمَلٍ .
فَأَصْبَحْ إِلَى بَوَّاحِ قِيثَارَةٍ دُونَمَا أَوْتَارَ .
وَقِفْ لَتَرَاقِبَ مِنْ فَوْقِ هَذَا الْحَرِيقِ .



تَسْعَى لِتَقْتَرِبَ ، رَغَمَ أَنَّكَ لَمْ تَبْتَغِدِ .
يَنْسَابُ مَاءٌ ، وَالْغَدِيرُ يَظَلُّ مُبْتَرِدًا .
أَنْتَ حَافِظَةٌ مِنَ الْمِسْكِ . نَحْنُ الْأَرْجُ .
هَلْ اعْتَزَلَ الْمِسْكُ فِي مَرَّةٍ طَيِّبَةٍ ؟

هَامِسًا بِالْفَجْرِ :

" لَا تَكْتُم عَنِّي مَا أَنْتَ الْعَلِيمُ بِهِ . "

جواب : عَلَيْكَ أَنْ تَعِيَ بَعْضَ حَاجَاتِ
وَلَكِنْ لَا تُبَحِّ . وَاسْكُن .



رَأَيْتُكَ مَا بَيْنَ جَمْعٍ فِي لَيْلَةٍ سَالِفَةٍ ،
وَلَمْ أَتِمَّكَ مِنْ ضَمَّتِكَ بِانْشِرَاحٍ إِلَى أَضْلُعِي ،
فَأَدْنَيْتُ مِنْ شَفَتَيَّ إِلَى وَجْهِكَ ،
زَاعِمًا أَنِّي أَتَكَلَّمُ فِي خَاصَّةٍ .

لو أني أحتجزك قريباً على مثل عُود
فيمكن أن نتشكى من غرام .
تُفضّل لو كنت ترمي بأحجارٍ على مرآة ؟
أنا مرآتك ، هذي هي الأحجار .



مَنْ لَا يَتَشَعَّشَعُ لِرُؤْيَاكَ
فَارْغٌ وَمُخَدَّرٌ مِثْلَ طَبْلَةٍ خُرِئَتْ بَعِيداً .
مَنْ لَا يَتَنَعَّمُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَكَلِمَاتِ الْمُرْسَلِينَ
يُمَكِّثُ فَضْلَةً عَنْ هَؤُلَاءِ .

نشرَ امرؤُ جناحَينا . جعلَ امرؤُ
السَّامَ والضُّرَّ ينزويانِ .
امرؤُ أفعَمَ الطَّاسَ بمُحاذاتِنَا :
نتذوقُ المِجالي فَحَسْبُ .



داخلَ الحِكْمَةِ ، اندفاقٌ لامعٌ ، قوَّةٌ محلولةٌ .
داخلَ العِشيقِ ، رفيقٌ .
واحدٌ مَصْدَرُ الناموسِ ، والآخِرُ ماءٌ قُرَاحٌ .
فأخرجُ إلى التَّجَلِّيَّاتِ حيثُما لا بدَّ أن تَخْرُجَ .

مَدَدُ الْعَالَمِ الْمَسِيحُ ،
وَكُلُّ قَصْدٍ كَذَلِكَ . لَا مَكَانَ هُنَاكَ
لَأَجْلِ الرِّيَاءِ . لِمَ تُدْمِنُ شَرَاباً لَا ذِعَاً لَا سِتِّشْفَاءِ
بَيْنَا الْمَاءُ الْعَذْبُ مَطْرُوحٌ أَيْ نَاحِيَةً ؟



ذَاتِي حَرُونَ ، غَالِباً سَكْرَى ، وَفُظَّة .
غَرَامِي : لَطِيفُ الْحَسَنِ ، حَائِرٌ ، وَزَهْوَق .
نُحْدَ رِسَالَاتِ رَجَاءٍ مِنْ أَحَدٍ إِلَى آخَرَ ،
جَوَابٌ وَمِنْ ثُمَّ رَدٌّ مُقَابِلٌ .

لن أُفَتِّشَ عَنْ مَكَانٍ آخَرَ كَيْ أَحْيَا بِهِ ،
لَمْ أَعِدْ نَحْجَلَانِ مِنْ كَيْفَ أَعَشَقْتُ . عَيْنَايَ تَنْفَتِحَانِ .
أَنْتَ مَوْجُودٌ بِكُلِّ مَكَانٍ : غَسُولُ الْعَيْنِ : طِبُّ ،
لِتَمْدِيدِ الْبَصَرِ وَلِقُدْرَةِ الدَّوْرَانِ .



يُحِرُّ الْحُبُّ قَادِمًا وَأَنَا أَصْبِيحُ .
يَقْعُدُ الْحُبُّ جَارِي كَمَدٍّ غَيْرِ مُتَوَلٍّ لِدَاثِهِ .
الْحُبُّ يَطْرَحُ الْآلَاتِ ، وَيَنْضُو عَنْهُ أُرْدِيَةُ الْحَرِيرِ .
تَجَرُّدُنَا سَوِيًّا يُبَدِّلُنِي تَمَامًا .

افْتِتَانٌ كَثِيرٌ لَدَى بَابِكَ ،
كُلُّ الْعَيْنَايَةِ تَرْبَحُ تِلْكَ الطَّرِيقَ .
فَتَذَكَّرُ ، رَغَمَ أَنِّي قَدْ ارْتَكَبْتُ أَفْعَالَ سَوْءٍ ،
بَأَنِّي لَا أَزَالُ أَرَى الْعَالَمَ بِرُمُوتِهِ فَوْقَ وَجْهِكَ .



الرَّاحُ قَدْ حُرِّمَتْ عِنْدَ هَذَا الْمَكَانِ
فَهِيَ تُمَثِّلُ حَيَاةً لَكَيْنُونَةٍ الْخَفِيِّ .
أَمَلًا بِذَلِكَ وَاعْفُ عَنِ الْعَاقِبَاتِ .
لَا بَدْءَ هُنَاكَ أَوْ انْتِهَاءَ .

أَسْمَعُكَ فَأَكُونُ بِكَ كَائِنَةً ، نَعَمٌ مُنْبَسِطٌ .
لَقَدْ رَكِبْتَ ذَلِكَ مَرَاتٍ عَدِيدَةً .
تَمْلِكُنِي الْآنَ ، لَكِنَّهُ فِي مَرَّةٍ قَادِمَةٍ
تَسْتَرِدُّنِي إِلَى الْكَيْنُونَةِ .



بَرْقٌ ، شُهُودُكَ
مِنْ أَرْضٍ مُقَابِلَ سَمَاءٍ .
لَا أَحَدٌ يَدْرِي بِمَا سَيَصِيرُ مِنِّي ،
حِينَ تَأْسِيرُنِي خَاطِفًا .

الريحُ ما أنتَ تَنطِقُ بِهِ .
طائرُ الليلِ سكرانُ من مَقطَعِ اسمِكَ ،
مَرَّةً تلوَ مَرَّةً ، مثلَ تَخْطِيطِ لُصُورَةٍ
نُقِشَتْ باحتراسٍ في الفراغِ الطويلِ من باطني .



صُداخُ طائرٍ ، ريحٌ ،
صَفْحَةُ الماءِ .
كلُّ زَهْرَةٍ ، تَتَذَكَّرُ الأريجَ :
أَعْلَمَ بأنكَ دانٍ .

أَحِبُّ هَذِهِ الْعَطِيَّةَ مِنْ حَيَاتِي إِلَيْكَ ،
أَوْ لَأَيِّ أَمْرٍ يَتَعَرَّفُ آخَرَ يَعْرِفُكَ ،
أَنَا الْمَسُوكُ بِهِ فِي شَعْرِكَ الْمَلْفُوفُ ،
بِبَاطِنِ عَيْنِي فَاتِنِكَ الْكَشْمِيرِي .



مَكْبُوحاً عَلَى مِثْلِ هَذَا ،
كَيْ أَقْتَصِدَ فِي الْحَلِيبِ ،
لَا مَشِيئَةَ ، إِنْ غَمَاماً بَطَّعِمِ الْحَلِيبِ ،
وَلَسْتُ بِرَاضٍ .

لأني قد غِبتُ عنكَ ،
أدري فقط كيف أبكي .
كمِثِلِ شَمْعَةٍ ، بَدِيدُهَا مَا أَكُونُ .
كمِثِلِ قِيثَارَةٍ ، أَيِّ صَوْتِ أَهْيَؤُهُ نَعَم .



أقصى ما أعوزُهُ
أن أنبجس خارجاً من هذه الهيئة ،
ثم أجلس بعيداً عن تلكم الوثبة .
لقد عِشتُ طويلاً حيثُ يمكنُ أن أصاد .

جَدْلَانُ ، لَيْسَ مِنْ أَيْ شَيْءٍ يُصَادِفُ .
مُسْتَدْفِيٌّ ، لَيْسَ مِنْ حَمَامٍ حَارٍّ أَوْ حُمَّى .
خَفِيفٌ ، أَشِيرُ
لَصِفْرِ عَلَى كَفَّةِ الْمِيزَانِ .



أَحْتَرَقُ مَعَ نِيرَانِ تَائِقَةٍ ،
أَرْغَبُ فِي نَوْمٍ وَرَأْسِي عَلَى عَتَبَةِ بَابِكَ ،
حَيَاتِي تَسْتَوِي عَلَى هَذَا الْمَقَامِ ، فَقَطْ
لَكِي أَكُونَ فِي حَضْرَتِكَ .

أَشْرَعَ لَخْلُقٍ ، تَصِيرُ إِلَى خَالِقٍ
لَا تَنْتَظِرُ عِنْدَ حَدٍّ .

فِي هَذَا الْمَطْبَخِ الْعَامِرِ بِالطَّعَامِ الطَّرِيقِ ،
لَمْ يَجْلِسْ قَانِعًا بِالسَّطَلِ مِنْ مَاءٍ دَفِيءٍ ؟



أَنْتَصِبُ ، وَالْوَاحِدُ الَّذِي أَنَا
يَسْتَحِيلُ إِلَى مَائَةٍ مَنِّي .
يَقُولُونَ إِنِّي أَطُوفُ حَوْلَيْكَ .
هَرَاءٌ . أَطُوفُ حَوْلِي .

ليس لي أن أفضَّ أسرارِي .
ما من مفتاحٍ عندي لهذا الباب .
إن حاجةً تُقيمُنِي فرِحاً ،
وليس لي أن أبوحَ ما هي .



في هذه الليلة ،
سياقٌ للنشيد :
المُشترى ، القمر ، وأنا
الرفاقُ الذين فَتَّشْتُ عَنْهُمْ ا

مع الخمرِ التي تنساحُ هذي الليلة
وآلاتُ العزفِ تُنشدُ فيما بينها ،
شيءٌ وحيدٌ حرام ،
شيءٌ وحيدٌ : النوم .



حينَ الوجدِ يَتَقَدُّ ،
ولونُ الياقوتِ في المَعمعان ، تُرَحِّبُ بِحُزْنِكَ ، لكن
أنتَ لا تَهْبِ الفتوحَ أو الغيابَ ،
أو السَّأَمَ الناعِسَ .

قمرٌ كاملٌ . يَقِظُ في سَكِينَةٍ ،
أنتَ تنظر علينا من السَّطْحِ في زاوية ،
تذكرُ أن الوقتَ ما حانَ
بعدُ لنومٍ ، أو للتساقِي .



عَظِيمَتُنَا رَسَالَاتُ حُبٍّ هَذِهِ اللَّيْلَةُ .
من أجلِ خَاطِرِهِم يَتَوَجَّعُ أَلَّا نَنَامَ .
أَرِيحُ شَعْرَكَ مُنْتَشِرًا بِالدُّرُوبِ
يُعْجِبُ الْعَطَّارِينَ هَذَا التَّبَارِي .

أَعْنَابٌ تَحْتَ أَقْدَامٍ تَعْتَصِرُهَا
تَدُورُ عَلَى أَيِّ نَحْوٍ يَدُورُونَ حَوْلَكَ فِيهَا .
أَنْتَ تَسْتَخْبِرُ لِمَاذَا طَوَّافِي حَوْلَكَ ؟
لَيْسَ حَوْلَكَ ، طَوَّافِي حَوْلَ ذَاتِي .



اجْتَرَزْتُ ، قَلْبًا وَقَالِبًا ،
لَا قَمَرَ ، لَا أَرْضَ أَوْ سَمَاءَ .
لَا تُنَلِّئِي كَاسَ مُدَامَةٍ أُخْرَى . أَمِلْهَا فِي فَمِي .
لَقَدْ تَاهَ مِنِّي طَرِيقُ فَمِي .

طُورِدْتُ أَرْضاً ، وَبَعْدُ الْمَطَارِدُ .
دَوْنَمَا عَمَلٍ ، بَعْدُ أَعْمَلُ بَانْتِظَامٍ .
بُغَيْتِكَ رَأْسِي ؟ يَا رَفِيقُ ،
هَآكِهَآ هِبَّةٌ مِنِّي .



الْحَقُّ مَا هُوَ أَنْتَ وَعِشْقِي
إِلَيْكَ . تَسْمُو فِي الرِّيحِ ، لَا تَبِينُ ،
تَرْتَقِي هَذِي الْحَقِيقَةُ قُبَّةً .
أَنَا نَجْمَةُ الْعُيُوقِ !

أَتَيْتُ لَأُقْعِي أَمَامَكَ
كَمَا كُنْتُ أَرْغَبُ عِنْدَ مَذْبَحٍ .
كُلَّ وَعْدٍ هَيَّأَهُ سَلَفًا
حَالَ رُؤْيَاكَ قَطَعْتُهُ .



لَا تَدْخُلْ إِلَيْنَا دُونَ أَنْ تَجْلِبَ الْأَلْحَانُ .
لِنَحْنُ فِي صَنْعٍ عَلَى طَبْلِ وَنَايَ ،
وَالْمُدَامَةُ لَا تُسْتَقَى مِنْ كَرُومٍ ،
فِي مَكَانٍ لَسْتُ تَحْدِثُ مَا هُوَ .

جذلانُ من غيرِ ما سَبَبِ ،
أودَّ أَشْهَدُ ما خَلَفَ هذا الوجود .
يَنكشِفُ فاهُكْ ، لتَضْحَكْ .
فأَسْتَرعي من قَصْدِ ذاك الكَشْفِ .



طالما كانَ بي ذِكْرِي ، أعوزُكَ .
فقد أَقمتُ شاهِدَةً لهذا الغرام .
جرى لي حُلُمُ الليلةِ الماضية ، والآنَ قد راح .
كلُّ ما أدريه أَني صَحَوْتُ على هذا مرَّةً ثانية .

مُنْسَجِبِينَ بِرُوزِكَ ،
نَجْتَمِعُ مِثْلَ شَعْرِ قَدْ تَشَعَّتْ ،
حَتَّى جَاءَتِ الْأَرْوَاحُ كَيْ تُذْعِنَ ،
كُنَّا مَوْتَى . وَالْآنَ رُدَّتْ إِلَيْنَا الْحَيَاةُ .



عِمَامَتِي ، كُسُوتِي ، رَأْسِي ، ثَلَاثَةٌ
لِقَاءَ أَقَلٍّ مِنْ دِرْهَمٍ .
نَفْسِي ، اسْمِي لَا يُذَكِّرَانِ
لِقَاءَ أَقَلٍّ مِنْ عَدَمٍ .

في الليل تأتي هُنا خِفِيَّةٌ ،
ومن ثمَّ أرغبُ ألاَّ تنتهي العَتَمَة .
لكن يروح الليلُ ، أنظرُ : أنتَ تقبض على الشمسِ .
فتولّ أنتَ رعايَةَ النهار !



السِرُّ الذي أفشيتَ ، أفشيه ثانياً .
لو انك تأتي ، سوفَ أشرعُ في الدموع .
ومن ثمَّ سوفَ تبوحُ : السكوت ، واسترقَّ السمعَ تَوّاً .
لسوفَ أفشيه مراراً .

كنتَ الوحيدَ ، فجَلَبْتُكَ كي تُغَنِّي .
كنتَ ساكناً ، فجَعَلْتُكَ تَحكي الحكايا الطوال .
لا أحدٌ دَرى أينَ كُنتَ ،
لكن الآنَ يُدرِكون .



كنتُ أحيَا على حَرْفِ
الخبَلِ ، أهوى لو أدريَ الأسبابَ ،
أطرقُ على بابٍ . فيُفَتِّحُ .
صرتُ أدقُّ عليه من باطنه !

لا عِشْقَ بِي مِنْ دُونِ كَيُنُونَتِكَ ،
لا رَشْفَ أَنْفَاسٍ . حَسِبْتُ يَوْمًا
بِإِمْكَانِي هَجْرُ هَذَا الْوَجْدِ ، ثُمَّ أَنْعَمْتُ حُسْبَانِي ،
لَكِنِّي لَمْ أَدُمْ بَشَرِيًّا .



نَحْنُ بِحَرَ اللَّيْلِ يُفَعِّمُهُ
لَأَلَاتُ النُّورِ . نَحْنُ الْمَدَى
مَا بَيْنَ سَمَكَةِ وَالْقَمَرِ ،
حِينَ نَجْلِسُ سَوِيًّا هُنَا .

نَحْشِينَا فِي مَرَّةٍ مِنْ وَصَلٍ وَصَلٍ ، وَأُخْرَى
مِنْ وَصَلٍ فَصَلٍ : أَنْتَ وَأَنَا ، مِنْ وَلَعٍ مُجَرَّدٍ
أَنْتَ وَمُجَرَّدُ أَنَا ، لَا بَدَّ أَنْ نَحْيَا
بَوْتِيرَةَ أَنَا مَا سَمِعْنَا قَطُّ عَنْ هَذِي الضَّمَائِرِ .



دَافِعَانِ رَاسِخَانِ : وَاحِدٌ ،
أَنْ أَحْتَسِبِي زَمَنًا طَوِيلًا وَأَفْرِطُ ،
الْآخَرُ ،
أَنْ لَا أَفِيقَ عَلَى بَاكِرٍ فِي التَّوَّ .

الْخَمْرُ الَّتِي نَحْتَسِيهَا هِيَ دُمُنَا دُونَ رَبِّبٍ .
أَجْسَادُنَا تَتَخَمَّرُ دَاخِلَ هَذِي الدِّينَانِ .
إِنَّا نَهَبُ مِنْ أَجْلِ كَأْسٍ بِهَذَا .
نَهَبُ عَقُولَنَا مِنْ أَجْلِ رَشْفَةٍ .



خَمْرٌ لَكِي يَشْتَدُّ عِشْقٌ ،
نَارٌ لَكِي تَتَبَدَّدُ ، نَجْلِبُ كُلًّا ،
لَيْسَ كَمِثْلِ تَصَاوِيرٍ مِنْ حَقِيقَةِ حُلْمٍ ،
بَلْ لَيْلٌ مُلَيَّلٌ نَخْلُدُ فِيهِ حَتَّى الْفَجْرِ .

فِي تَحْكُمٍ نَاجِزٍ ، تَحْكُمٍ دَعِيٍّ ،
بِسُلْطَانٍ جَلِيلٍ ، نَحْنُ دَجَّالِينَ .
أَوْ رَبَّمَا كَمْ جَرَّدَ شَعْرٍ كَبَشٍ يُمَسِّدُهُ يَدُ الْفَنَانِ .
لَيْسَ مِنْ ظَنٍّ لَدَيْنَا مَا نَكُونُ .



نَحْنُ نَسْتُرُ مَنْ يَغْتَسِلُ .
نَحْنُ نَزْهَوُ بِجُودِنَا .
نَحْنُ نُحَدِّقُ فِي بَحْرِ الْمُطَلَقِ ، الْمُتَأَلَّمِ .
نَحْنُ نَنْهَارُ .

أَنْتَ مُبْتَرِدٌ، تَرْتَقِبُ مِنْهُ .
مَا تَفْعَلُهُ يَرْتَدُّ بِشَكْلِهِ ثَابِتاً .
اللَّهُ رَحْمَنٌ ، لَكُنْكَ إِنْ زَرَعْتَ الشَّعِيرَ ،
فَلَا تَنْتَظِرُ مِنْ حَصَادِهِ قَمَحاً .



أَهْيِمُ عَلَى سَهْلٍ مُقْفِرٍ ، حَرِجٍ
عِنْدَ عَلَامَةٍ مَهْجُورَةٍ هَا هُنَا كُنْتَ .
أَعْثُرُ عَلَى جَسَدٍ مَخْذُولٍ ،
رَأْسُ انْفَصَلَتْ .

نَحْمَرُهُ وَعَيْنِي ، أَحَدٌ قَدِمْ وَأَنَحْرُ مُسْتَحْدَثٌ .
أَبْدَأُ فَلَنْ نَجِدَ الْكِفَايَةَ .
أَنْ لَا نَكُونَ هُنَا وَنَكُونَ هُنَا كُؤْلِيَّةٌ ،
الْمَزْجُ غَيْرُ لَازِحٍ . مَذَاقُنَا مَعَا .



مُرْتَقِدٌ فِي مِثْلِ هَذَا الْوُجُودِ ،
غَيْرُ رَاغِبٍ بَعْدُ فِي مَطْعَمٍ أَوْ شَرَابٍ ،
أَطْفُو طَلِيقاً
كَأَنَّ جِيفَةً فِي الْحُيْطِ .

لا تُسَلِّمَنِي إِلَى رُفَقَائِي السَّالِفِينَ .
مَا مِنْ رَفِيقٍ إِلَّا كَ . فِي دَاخِلِكَ
أَرْتَا حُ مِنْ عَوَزٍ . فَلَا تَدْعُنِي
إِلَى إِيَّاهُ مِنْ جَدِيدٍ .



تَنْبَسِطُ كِي تَطَالَ الْقَمَرُ بِعُيُونِكَ ،
وَمِنْ ثَمَّ الزُّهْرَةِ . شَيْدٌ مَكَانًا كِي تَعِيشَ
بِتِلْكَمِ الْأَبْعَادِ . حِمَى يَتَفَكُّكُ مِنْ رَكْلَةٍ وَاحِدَةٍ ،
عَجِّلْ وَفَكِّكُهُ .

في فَيْنَةٍ مَنظُورٌ ، في فَيْنَةٍ لَا ، في فَيْنَةٍ
مَسِيحِيٍّ وَرِعٍ ، في فَيْنَةٍ يَهُودِيٍّ صُمُودٍ .
بعدُ عِشْقُنَا الْبَاطِنِيَّ يَلِيقُ بِكُلِّ امْرِئٍ ،
كُلُّ مَا نَفَعَلَهُ أَنْ نَتَشَكَّلَ بِهَذِي الضُّرُوبِ يَوْمِيًّا .



صَلَّاحِ أَعْمَالِي أَنْ أُبَلِّغَ مِثْلَ هَذَا الْحُبِّ
كَالسُّلُوفِ إِلَى التَّائِقِينَ إِلَيْكَ ،
أَسْلُكُ حَيْثُمَا قَدْ طُفْتُ
وَأُحَدِّقُ فِي نَجَسٍ قَدْ أَلَحَّ .

تقديم
أرقام الرباعيات

٣٠	٧٠٢
٣١	٢٧٠٢٠
٣٢	٣١٠٢٩
٣٣	٣٣٠٣٢
٣٤	٤٤٠٤٢
٣٥	٥٥٠٥١
٣٦	٦١٠٥٧
٣٧	٦٣٠٦٢
٣٨	٧٩٠٦٧
٣٩	٨٨٠٨٦
٤٠	٩٤٠٩٣
٤١	١٥٢٠٩٧
٤٢	١٥٩٠١٥٣
٤٣	١٦٥٠١٦٣
٤٤	١٦٧٠١٦٦
٤٥	١٦٩٠١٦٨
٤٦	١٧١٠١٧٠
٤٧	١٨١٠١٧٣
٤٨	٣١٨٠٣١٧
٤٩	٣٢١٠٣١٩
٥٠	٣٢٦٠٣٢٢
٥١	٣٣٠٠٣٢٩
٥٢	٣٣٣٠٣٣١
٥٣	٣٣٧٠٣٣٤
٥٤	٣٩٤٠٣٣٨
٥٥	٤٩١٠٤٠١
٥٦	٥٦١٠٥٤٦
٥٧	٥٦٩٠٥٦٧
٥٨	٥٧٣٠٥٧٠
٥٩	٦٧٠٠٥٨٧

.۷۶	۱۱۵۲	۱۱۵۱
.۷۷	۱۱۵۹	۱۱۵۰
.۷۸	۱۱۶۴	۱۱۶۰
.۷۹	۱۱۸۴	۱۱۶۹
.۸۰	۱۱۹۴	۱۱۸۵
.۸۱	۱۲۲۸	۱۱۹۶
.۸۲	۱۲۴۰	۱۲۳۳
.۸۳	۱۲۴۹	۱۲۴۷
.۸۴	۱۲۹۹	۱۲۹۶
.۸۵	۱۳۰۵	۱۳۰۱
.۸۶	۱۳۰۷	۱۳۰۶
.۸۷	۱۳۲۰	۱۳۱۱
.۸۸	۱۸۵۴	۱۷۹۸
.۸۹	۱۶۴۵	۱۶۴۲
.۹۰	۱۷۸۴	۱۶۵۳
.۹۱	۱۳۵۲	۱۳۲۵

للمترجم

دواوين

- طور الوحشة ، أصوات ، ١٩٨٠ .
- قبر لينقض ، طبعة محدودة ، ١٩٩١ .
- على تراب المحنة ، هيئة قصور الثقافة ، ١٩٩٥ .
- فحم التماثيل ، شرقيات ، ١٩٩٧ .

ترجمات

- أشعار سودرجران (بالاشتراك) ، شرقيات ، ١٩٩٤ .
- حجاز (رواية توني موريسون) ، شرقيات ، ١٩٩٥ .
- مرآة الخبر (نصوص بورخس) ، آفاق الترجمة ، ١٩٩٦ .
- قصائد حب (آن سكستون) ، المشروع القومي للترجمة ، ١٩٩٨ .
- فالس الوداع (رواية ميلان كونديرا) ، روايات الهلال ، ١٩٩٨ .

رقم الإيداع ٧٦٢٢ / ٩٨

الترقيم الدولي
I.S.B.N.
977 - 5887 - 05 - 4

طبع بالمركز المصرى العربى

ت : ٥٨١٥٦٠٧

غَرَسْتُ وَرَدًا ، لَكِنَّهُ مِنْ دُونِكَ اسْتَحَالَ شَوْكَاً .
رَقَدْتُ بَيْضاً لَطَاوُوسٍ . فَحَوَى ثَعَابِينَ .
عَرَفْتُ عَلَى قَيْثَارَةٍ ، فَسَدَّتِ الْأَلْحَانَ .
ارْتَقَيْتُ إِلَى السَّمَاءِ الثَّامِنَةِ . فَكَأَنِّي سَقَلِيَّ جَهَنَّمَ .

26.10.1998

الأهرام

AL-AHRAM

٩,٠٠٠

Thanks to
assayyad@maktoob.com

To: www.al-mostafa.com